فصل في

مكارم الأخلاق التي اتصف بها نبينا ﷺ ودعائه إليها

أولاً: في مكارم أخلاقه ﷺ إجمالاً:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ [القلم: ٤].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: (١)

لم يُذكَر خُلُقٌ محمودٌ إلا وكان للنبي ﷺ الحظ الأوفر منه.

وقال الجنيد: سُمِّي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى.

وقيل: سُمِّي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدل عليه قوله ﷺ: «**إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق**». اهـ.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (٢)

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال جعفر بن محمد -رحمه الله-:

أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. اهـ.

وقد استدلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بمكارم أخلاقه التي كان عليها قبل بعثته ﷺ على حسن عاقبته، لَمَّا جاء من غار حراء بعد أن لقيه جبريل عليه السلام وغطَّه، فجاء خديجة يرجف فؤاده، فقالت له رضي الله عنها: مسلِّية له ﷺ: «كلا والله لا يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ (٣)، وتكسب المعدوم (٤)، وتقرئ الضيف (٥)،

---

(١) (١٨/٢٢٧).

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٨٩، ٩٠

(٣) الكلّ: هو من لا يستقل بأمره.

(٤) تكسب المعدوم: أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

(٥) تطعمه وتكرمه.

وتعين على نوائب الحق [١] » [٢] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح: [٣]

استدلت - خديجة رضي الله عنها - على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي، وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإمَّا بالبدن أو بالمال ، وإمَّا على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به .اهـ.

وقد كان كفار قريش يشهدون له ﷺ بالصدق قبل بعثته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (٢١٤) ﴾ [الشعراء :٢١٤] ، صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدى، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال النبي ﷺ : **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي**؟، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً. **قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » [٤] .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبتُّ وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجه كذَّاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: **أيها الناس أفشوا السلام ،وأطعموا الطعام ،وصلوا والناس نيام ،تدخلوا الجنة بسلام**» [٥].

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله -: [٦]

كانت صورة نبينا ﷺ وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه. اهـ .

---

(١) هذه كلمة جامعة لأفراد ما تقدَّم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي برقم ٣ . (٣) (١/ ٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ برقم ٤٧٧٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾) ، برقم ٢٠٤ .

(٥) أخرجه الترمذي في سُننه برقم ١٣٣٤ ، والدارمي في سُننه (٢ / ٢٧٥) وغيرهم ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٦) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ ص ٢٦٥ .

ولقد صدق من قال في وصفه ﷺ :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبينةٌ كانت بديهته تأتيك بالخبرِ

وقال هرقل ملك الروم لأبي سفيان رضي الله عنه حين سأله عن أوصاف النبي ﷺ :

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت : أن لا . فقد أعرف أنَّه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » (١) .

وسأل سعد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ . قال : بلى . قالت : فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن . قال : فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت » (٢)

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (٣)

ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً ،تطبَّعه وترك طبعه الجلي،فمهما أمره القرآن فعله ،ومهما نهاه عنه تركه،هذا مع ما جبله الله من الخلق العظيم من الحياء،والكرم،والشجاعة،والصفح،والحلم،وكل خُلُق جميل . اهـ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ خادم رسول ﷺ ـ قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً » (٤) .

وفيما سبق شهادة الله ـ سبحانه ـ بحسن خُلق نبيه ﷺ ، ثم شهادة أزواجه، وبعض خدمه ، وأعدائه .

ثانياً: في بعض صفة خُلُقه ﷺ في التوراة :

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) برقم ٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (جامع صلاة الليل) برقم ٧٤٦ .

(٣) (٤/ ٥١٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً) ، برقم ٢٣٠١ .

أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئةَ ، ولكن يعفو ويغفر ،ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملَّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إلـه إلا الله ، ويفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلفاً» (١) .

ثالثاً: في قوله ﷺ بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « **بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» (٢) .

وسيرة رسول الله ﷺ في السلم والحرب مع أوليائه وأعدائه، في سفره وحضره وعسره ويسره ، ورضاه وغضبه ، خير شاهد على ذلك.

رابعاً: في سماحته ﷺ ومجانبته للآثام ومحبته للتيسير :

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ـ عز وجل ـ** » (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ،ولا خادماً ،إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهَكَ شيء من محارم الله فينتقم لله ـ عز وجل ـ » (٤) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره قال: « **بشِّروا ولا تنفِّروا ،ويسِّروا ولا تعسِّروا**» (٥) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: « ما صليت وراء إمام قط أخفَّ صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب (البيوع) باب (كراهية السخب في الأسواق) ، برقم ٢١٢٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٨١) والحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٠ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل ،) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق ، برقم ٢٣٢٨ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

وان كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه »[١] .

وعن أنس رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه** »[٢] .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رجل يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الفجر مما يطيل فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذٍ ثم قال: « **يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فمن أمَّ الناس فليتجوَّز ، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة** »[٣] .

إن كل عاقل يقرأ مثل هذه الأحاديث من سيرة هذا النبي العظيم الدالة على سماحته ومحبته للتيسير ليدرك عظمته وعظمة الدين الذي بعث به وأنه الدين الكفيل بحل مشكلات البشر في كل زمان ومكان،وأنه الدين الذي يرفض التكلف والتنطع والتشدد والعنت فنحمد الله الذي جعلنا من أمته، وأكرمنا باتباعه،ونسأله سبحانه أن يحشرنا تحت لوائه ، وأن يسقينا من حوضه وأن يكرمنا بشفاعته ﷺ .

خامساً: صدقه ﷺ وشهادة أعدائه له بذلك :

فقد سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان آنذاك مشركاً ، فقال هرقل: بماذا يأمركم؟، فقال أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

ومما سأل عنه هرقل أيضاً أنه قال:هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

فقال أبو سفيان: لا. فقال هرقل: قد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله »[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من أخفَّ الصلاة عند سماع الصبي) ، برقم ٧٠٨ .
(٢) المصدر السابق برقم ٧٠٩ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من شكا إمامه إذا طوَّل) ، برقم ٧٠٤ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب السادس حديث رقم ٧ .

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الحديث إليَّ أصدقه**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أُمية ابن خلف أبي صفوان، وكان أُمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنتظر حتى إذا انتصف اليوم وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا بأبي جهل فقال: من هذا الذي يطوف بالبيت؟ فقال: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً؟، فقال: نعم. فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام.

قال فجعل أُمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد، فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟، قال: نعم.

قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟. قالت: وما قال؟، قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟.

قال: فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم فقتله الله»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (٢١٤)﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدى، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (إذا وهب لوكيل أو شفيع قوم جاز)، برقم ٢٣٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام)، برقم ٣٦٣٢.

فقال: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟** ، قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.**

فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ ، فنزلت: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢** ﴾ [المسد: ١-٢] (١) .

وإليك أخي القارئ الكريم قصة عظيمة عجيبة:

قصة فيها بيان أن مما كان يدعو إليه نبينا ﷺ الصدق، وكيف انطبع ذلك على أصحابه حتى في أحرج الأوقات، وأحلك المواقف، وكيف كان صدقهم سبباً لنجاتهم وفلاحهم.

فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار: النجاشي أمنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، وجمعوا له أدماً كثيرة، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدِّموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم قالت : فخرجنا، فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريقاً إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منَّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنردَّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهم: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾) ، برقم ٤٧٧٠ .

ثم إنهم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منَّا غلمان فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ،وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ،وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائرهم لنردَّهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردوهما إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا ها الله أيم الله إذاً لا أسلمهم إليهم ولا أكاد ، قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟.

قالوا: نقول والله ما عَلِمنا وما أَمَرَنَا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الأمم؟ .

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ،ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف ،فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ،ونخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث ،وأداء الأمانة ،وصلة الرحم ، وحسن الجوار ،والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل

مال اليتيم ،وقذف المحصنة ،وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنَّا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء.

قالت: فقال لهم جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ.فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم :١] .

قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئهم غداً عيبهم و أستأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد الله وكان أتقى الرجلين فينا.: لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: فلم ينزل بنا مثله.

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟.

قالوا : نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟.

فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته القاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال :ما عدا ابن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم: الآمنون ـ من سبَّكم غرم،ثم من سبَّكم غرم، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وإني آذيت رجلاً منكم . والدبر بلسان الحبشة: الجُعل.

ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لنا بها ، ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ علي ملكي فآخذ الرشوة فيه ،وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا فيه وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار» [١] .

حقاً إنه رسول الله ـ ﷺ ـ الصادق الأمين الذي جاء بالصدق، قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً في أحسن أحواله وأشدها، كرباً فهو القائل ﷺ : «**إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ،وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**».

فالنبي ﷺ دعا إلى الصدق ورغب فيه لما فيه من صلاح العباد والبلاد،الصدق في كل نواحي الحياة ، في العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والمعاملة ، والسياسة مع الأولياء ومع الأعداء ،وبذلك ينعم النّاس بالثقة والطمأنينة ،وبهذا تعرف زيف وقبح إطلاق المقولة المشهورة إن السياسة مبنية على الكذب.

فنقول نعم إن السياسة الشيطانية سياسة شريعة الغاب مبنية على الكذب، أما السياسية الشرعية التي جاء بها من أراد صلاح الراعي والرعية فمبنية على الصدق والعدل.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٠١) ، وسنده حسن .

سادساً: وفاؤه ﷺ ومجانبته للغدر:

«عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هرقل سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ هل يغدر؟ ، فقال أبو سفيان ـ وكان آنذاك مشركا ـ : لا . فقال ، هرقل: وكذلك الرسل لا تغدر» (١) .

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلْقِي في قلبي الإسلام ، فقلت: يا رسول الله والله لا أرجع إليهم أبداً.

فقال رسول الله ﷺ: **إني لا أخيس** (٢) **بالعهد ، ولا أحبس البُرُد** (٣) **، ولكن ارجع إليهم فإن كان في نفسك الذي بنفسك الآن فارجع.**

قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت» (٤)

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل قال: فأخَذَنَا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا ما نريده،ما نريد إلا المدينة،فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه فقال: **انصرفا. نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**» (٥) .

وفي صحيح مسلم أن شاعر رسول الله ﷺ حسَّان بن ثابت رضي الله عنه هجا بعض المشركين دفاعاً عن رسول الله ﷺ، فكان مما قال:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً براً تقياً ... رسولَ اللهِ شيمته الوفاءُ
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمدٍ منكم وقاءُ» (٦)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**أربع من كن فيه كان**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي الباب السادس) برقم ٧ .
(٢) أي لا أنقضه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٩٢).
(٣) في النهاية لابن الأثير: أي لا أحبس الرسل الواردين عليّ . اهـ .
(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الجهاد) باب (في الإمام ويُستجن به في العهود) ، برقم ٢٧٥٨ ، وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الوفاء بالعهد) ، برقم ١٧٨٧ .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٩٠ .

منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلَّة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر »[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غَدْرَةُ فلان** »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً** »[٣] .

هذا ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ غدر ولا خيانة ، لا قبل البعثة ولا بعدها ، شهد بذلك أعداؤه وأولياؤه ، وقد عاهد النبي ﷺ يهود المدينة حين هاجر إليها ووفَّى لهم وكانوا هم الذين نقضوا العهد وغدروا ، وعاهد كفار قريش ووفَّي لهم، حتى كانوا هم الذين نقضوا العهد وغدروا ، وفي قصة صلح الحديبية دليلٌ واضحٌ على وفاء النبي ﷺ بالعهد ،كما أن فيها أن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأسلم ، وأعطى النبي ﷺ المال، فقال له رسول الله ﷺ : **أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء** ، وإنما رده النبي ﷺ لأنه أخذ غدراً.

وسأسوق هنا قصة صلح الحديبية لما فيها من الفوائد العظيمة التي تشهد لكثير مما سبق مع شهادتها بعظيم وفائه ﷺ بالعهد.

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كان ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة،فخذوا ذات اليمين،فوالله ما شعر بهم خالد،حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش،وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنيَّة التي يهبط عليهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من عاهد ثم غدر) ، برقم ٣١٧٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (خصال المنافق) ، برقم ٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (ما يدعى الناس بآبائهم) ، برقم ٦١٧٨ ، ومسلم في صحيحه ، واللفظ له كتاب (الجهاد) باب (تحريم الغدر) ، برقم ١٧٣٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من قتل معاهداً بغير جرم) ، برقم ٣١٦٦ .

منها بركت به راحلته،فقال الناس:حل حل[١]، فألحَّت فقالوا: خلأت القصواء[٢].

فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**[٣]، **ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطَّة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها** ثم زجرها، فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء يتربَّضه الناس تربُّضاً[٤]، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشُكِي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذالك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفرٍ من قومه خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال للنبي ﷺ: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياة الحديبية ومعهم العوذ المطافيل[٥] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: **إنا لم نجئ لقتال أحدٍ ولكنا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرَّت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدَّة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فعلوا، وإلا فقد جمَّوا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم عن أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذنَّ الله أمره.**

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنَّا جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته، يقول. قال سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

---

(١) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٢) خلأت أي بركت من غير علة، والقصواء اسم ناقة النبي ﷺ.

(٣) أي حبسه الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٤) أي ياخذه الناس قليلاً قليلاً.

(٥) العوذ: هي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، قاله الحافظ في الفتح (٥/٣٩٨).

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟، قالوا بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ ، قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أنِّي استنفرت أهل عكاظ ، فلمَّا بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطَّة رشدٍ فاقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته.

فأتاه فجعل يكلِّم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل.

فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك؟، وإن تكن الأخرى ، فإني لا أرى وجوهاً وإنِّي لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرُّوا ويدعوك.

فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات [١] ، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟! ، فقال: من ذا؟ ، قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك،وجعل يكلم النبيﷺ فكلما تكلم كلمة أخذ عروة بلحية النبيﷺ ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ ، قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غُدر ألست أسعى في غدرتك؟، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ: **أمَّا الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء.**

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبيﷺ بعينه ، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له.

---

(١) البظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم ، فأراد أبوبكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبده مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار. قاله الحافظ في الفتح (٥ / ٤٠١).

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم. والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، والله إن تنخّمَ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطَّة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: هذا فلان وهو من قومٍ يعظمون البُدْن فابعثوها له، فبعثت له فاستقبله الناس يلبون،فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدَّوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدت وأُشعرت فما أرى أن يصدَّوا عن البيت ، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص ، فقال: دعوني آته .فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلِّم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

فلما جاء قال النبي ﷺ: قد سهل من أمركم ، فجا ء سهيل بن عمرو فقال: هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال: سهيل: أمَّا الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم.

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن أكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله. فقال له النبي ﷺ: على أن تخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به.

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أننا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب،فقال سهيل:وعلى أن لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ .

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في القيود وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين،فقال سهيل :هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ. فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد .

قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً ، قال النبي ﷺ : فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك ، قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد اجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ، ألا ترون ما قد لقيت؟ ، وكان قد عذِّب عذاباً شديداً في الله.

قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست بنبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟، قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟.

قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى.

قال: فأخبرتك أنَّك تأتيه العام؟ ، قال: قلت: لا. قال فإنك آتيه ومطوف به.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟.

قال :أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺوليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟، قال: بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟، قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوَّف به.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا.

قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاث ، مرات فلمّا لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله أتحب ذلك؟.

اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)** ﴾ [الممتحنة :١٠] .

فطلَّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي ، جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبوبصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال: أجل إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به . فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد ، وفرَّ الأخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه يعدوا: لقد رأى هذا ذعراً.

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال :يا نبي الله ، قد والله وفَّى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم.

قال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحدٌ ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر.

قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل،فلحق بأبي بصير،فجعل لا يخرج من قريش رجل أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم.

فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم،فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ [الفتح : ٢٤- ٢٦] .

وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت »(١)

إن هذه السيرة العطرة،والأخلاق الزكية النضرة،تطرق قلوب الأحرار الصادقين، وتلفت أنظارهم إلى هذا النبي الكريم القدوة الحسنة لكل المؤمنين،وأنه لاخير في تكذيبه والإعراض عما جاء به من القيم والإصلاحات للبشرية جمعا، والدين الحنيف الذي يحمل السعادة والخير للبشر في معاشهم ومعادهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ [ق :٣٧] .

سابعاً: في عظيم شجاعته ﷺ وشدة بسالته وتقدُّمه للحروب :

عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال :جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: أرأيت أحمد يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ،فأنهه عن أذانا.

فقال: يا عقيل ائتني بمحمد ،فذهبت فأتيت به فقال :يا ابن أخي إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم فانته عن ذلك.

قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة. يعني الشمس ، فقال أبو طالب: ما كذب ابن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب) ، برقم ٢٧٣١ .

أخي فارجعوا» (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُري وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا ثم قال: وجدناه بحراً**» (٢).

وعن أبي إسحاق السبيعي أنه سمع رجلاً من قيس يسأل البراء بن عازب رضي الله عنه فيقول: « أفررتم عن رسول الله يوم حُنين؟ ، فقال البراء رضي الله عنه ولكن رسول الله لم يفر. كانت هوازن رماة وإنَّا لَمَّا حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستُقبلنا بالسهام ،ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بزمامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه» (٣).

وهذه شجاعة منقطعة النظير إذ انكشف أكثر الجيش عن قائدهم رسول الله ﷺ وهو ثابت في وسط المعركة ، وليس ذلك فحسب ، بل يصرِّح بأنه النبي ـ ﷺ ـ ، وأنه القائد وأعداؤه أحرص ما يكونون على قتله ومعرفة مكانه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ ، قال: قلت: الله. ثم قال

---

(١) السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني –رحمه الله– حديث رقم ٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد والسير) باب (الحمائل وتعليق السيف بالعنق) ، برقم ٢٩٠٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شجاعة النبي ﷺ وتقدمه في الحرب) ، برقم ٢٣٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من قال خذها وأنا ابن فلان) ،برقم ٤٤٧١ .

في الثانية: من يمنعك مني؟ ، قال: قلت: الله . فشام السيف ـ أي أدخله في غمده ـ فها هو جالس ، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ » (١) .

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟، قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا ،وعاب ديننا، وفرَّق جماعاتنا ،وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، أو كما قالوا.

فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول. قال: فعرفت ذلك في وجهه ﷺ ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى. فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها **فقال ﷺ: تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمدٍ بيده لقد جئتكم بالذبح.**

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول،حتى إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً » (٢) .

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ، ما كان أو لم يكن أحد أقرب من المشركين منه » (٣) .

وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقرب إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً » (٤) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لقد رأيت يوم حنين وإن الفئتين لمولِّيتان ، وما مع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة بني المصطلق برقم ٤١٣٩) ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (توكله على الله وعصمته من الناس) ، برقم ٨٤٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٢١٨) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٠٣) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٤) المصدر السابق (١ / ٨٦) ، والنسائي في الكبرى (٥ / ١٩١) ، وهو حديث صحيح.

رسول الله ﷺ مئة رجل» (١) .

عدد الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه :

سئل زيد بن أرقم رضي الله عنه كم غزوت مع رسول ﷺ ؟ ، قال: سبع عشرة غزوة.

قيل: كم غزا رسول الله ﷺ بنفسه؟ ، قال: تسع عشرة غزوة» (٢) .

وهكذا مواجهة النبي ﷺ كفار قريش بالدعوة مع قلّة من آمن به يدل على شجاعته وبطولته ، ومكاتبته لملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام مع قوة سلطانهم وكثرة عددهم ونفوذهم في الأرض يدل على شجاعته ﷺ ، وسيرته ﷺ قبل الهجرة وبعدها خير شاهد على هذا.

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الجبن ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ يقول: **اللهم إني أعوذ بك من العجز ، والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات**» (٣) .

وقد تمنى صلوات الله وسلامه عليه أن يقتل في سبيل الله مراراً :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفس محمد بيده لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنِّي ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل**» (٤) .

إن المتأمل فيما سبق لايساوره شك في صدق هذا النبي الكريم ﷺ ، فهو القدوة الحسنة في سلمه وحربه ، والثبات عند الزلازل والفتن الواثق بوعد الله ونصره لعباده المؤمنين الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة ، الباذل لروحه رخيصة في سبيل الله ،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الجهاد) باب (ما جاء في الثبات عند القتال) ، برقم ١٦٨٩ ، وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (كم غزا رسول الله ﷺ) ، برقم ٤٤٧١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (التعوذ من فتنة المحيا والممات) ، برقم ١٦٨٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (التعوذ من العجز والكسل) ، برقم ٢٧٠٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (تمني الشهادة) ، برقم ٢٧٩٧ .

من أكرمه بالرسالة إلى البشرية جميعاً ، فإنما أرسله الله لعمارة الأرض بعبادة الله ، وحده لاشريك له، وإزالة الوثنية وأدرانها ، وأن الروح من أرخص مايبذل لتحقيق ذلك ، والفوز برضوان الله.

ثامناً: إرساؤه ﷺ دعائم العدل وتشييده لأركانه :

فعلى العدل قامت السموات والأرض، وبه تستقيم أحوال البلاد والعباد، وبالظلم ترحل النعم ، وتحل النقم ، وتفنى الأمم.

وقد قسَّم النبي ﷺ يوماً قسماً بين أصحابه بحسب سياسته الشرعية ، فقال له قائل: إعدل. فقال ﷺ : **ومن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله.**

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بالجعرانة،منصرفه من حنين ، وفي ثوب بلال فضة ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس ، فقال يا محمد: إعدل ، فقال رسول الله ﷺ : «**ويلك ومن يعدل إذا لم اكن أعدل؟ ، لقد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل**» ،فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :دعني يا رسول الله ، فأقتل هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : «**معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّه**» (١) .

جوانب عدالتــه ﷺ :

[١] عدله ﷺ في أحكامه :

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح ، فقالوا من يكلِّم فيها رسول الله ﷺ ؟ .

فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ حِبُّ رسول الله ﷺ .

فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ

(١) أخرج هذا اللفظ مسلم في صحيحة كتاب (الزكاة) باب (ذكر الخوارج وصفاتهم) ، برقم ١٠٦٣ ، وأصل الحديث في الصحيحين .

فقال: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟**»، فقال أسامة بن زيد رضي الله عنه: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فأختطب، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطِعَتْ يدها»(١).

[٢] عدله ﷺ مع أعدائه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّام عليكم ـ أي الموت ـ قالت عائشة رضي الله عنها: ففهمتها فقلت: عليكم السام واللَّعنة، فقال رسول ﷺ: **مهلاً يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**، فقلت: يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا؟، **قال رسول الله ﷺ: فقد قلت لهم: وعليكم**»(٢).

ولما فتح النبي ﷺ مكة ودخلها مظفراً منصوراً، واستعدَّ لملاقاة هوازن وثقيف، احتاج إلى دروع، فطلب من صفوان بن أمية، وكان آنذاك مشركاً، أن يعيره دروعاً، فقال صفوان: أغصبٌ يا محمد؟ فقال: لا بل عاريَّةٌ مضمونة، مع أنه ﷺ كان يستطيع أن يأخذها قهراً، ولكنه ﷺ بُعث بالحق والعدل فما كان من صفوان عند أن ردَّ عليه النبي ﷺ دروعه إلا أن أسلم وتنازل عمَّا فقد منها.

فعن أمية بن صفوان بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبيه: يا صفوان، هل عندك سلاح؟، قال: عاريةً أم غصباً؟، قال: بل عارية مضمونة، فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً، وغزا رسول الله ﷺ حُنيناً، فلما هُزِم المشركون جُمعت دروع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) برقم ٣٤٧٥ ومسلم في صحيحه، واللفظ له كتاب (الحدود) باب (قطع يد السارق الشريف وغيره) برقم ١٦٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (كيفية الرد على أهل الذمة بالسلام) برقم ٦٢٥٦ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) برقم ٢١٦٤.

صفوان ففقدوا منها أدرُعاً،فقال النبي ﷺ لصفوان: إنا قد فقدنا من أدرعك أدراعاً فهل نغرم لك؟، قال: لا يا رسول الله ، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ » (١) .

قال أبو داود في سننه: وكان أعاره قبل أن يسلم ، ثم أسلم رضي الله عنه . أهـ.

[٣] عدله ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تختصمون إليَّ،ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له به قطعة من النار**» (٢) .

[٤] عدله ﷺ بين نسائه رضي الله عنهن :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على بعض في القَسْم من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها » (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه » (٤)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: **غارت أمكم** ، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة إلى التي كُسِرَت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسرت فيه » (٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه كتاب (البيوع) باب (تضمين العارية)، برقم ٣٥٦٣ ، وهو حديث صحيح صححه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأقضية) باب (الحكم بالظاهر)، برقم ١٧١٣

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (النكاح) باب (القسم بين النساء)، برقم ٢١٣٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (القرعة بين النساء إذا أراد سفراً) ، برقم ٥٢١١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل عائشة رضي الله عنها)، برقم ٢٤٨١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المظالم) باب (إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره) ، برقم ٢٤٨١ .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعني قصيرة ـ فقال رسول الله ﷺ : **لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»** (١) .

هكذا زجر النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أنها أحب الناس إليه لمَّا وقعت في ضرَّتها صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، فلم يحمله حبُّه لهذه على أن لا يزجرها إن وقعت في محظور ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

[٥] حثه ﷺ أصحابه على العدل بين أولادهم،وامتناعه من الشهادة على جور:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه **قال:** تصدَّق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تُشْهِدَ رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليُشْهِدَه على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ : « **افعلت هذا بولدك كلهم**؟،قال:لا. قال: **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» فرجع أبي فردّ تلك الصدقة (٢) .

وفي رواية : « **فلا تُشْهِدني إذاً فإني لا أشهد على جور**» (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** كان رجلٌ جالساً مع النبي ﷺ فجاءه ابن له فأخذه فقبَّله ثم أجلسه في حَجْرِه، وجاءت ابنةٌ له فأخذها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ : «**ألا عدلت بينهما**» (٤) .

[٦] حثه ﷺ أمته على العدل وتحذيرهم من الظلم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا**» (٥) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ : «**اتقوا الظلم فإن الظلم**

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه كتاب (الآداب) باب (في الغيبة) ، برقم ٤٨٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الهبة) باب (الإشهاد في الهبة) ، برقم ٢٥٨٧ ومسلم في صحيحه كتاب (الهبات) باب (كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة) ، برقم ١٦٣٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في الموضع السابق

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٨٨٣ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل) ، برقم ١٨٢٧ .

ظلمات يوم القيامة» [١] .

أيها القارىء الكريم : لعلك انبهرت بما قرأت؟، إن الذي سطرته ليس إلا قطرة من بحر، وقليلاً من كثير،إن العدل الذي اتصف به رسولنا الكريم ﷺ وحث أمته عليه وأرسى دعائمه .كفيل في إنقاذ البشرية ـ بإذن الله ـ من ظلمات الظلم الحالك الذي ملئوا به الأرض،وحصل بسببه العدوان على الدماء والأموال والأعراض والعقول والقلوب، إن هذه العقائد والأعمال والأخلاق والمبادئ التي بعث بها نبينا ﷺ هي سفينة النجاة للبشرية والمنقذة لهم من شريعة الغاب التي كدرت عليهم حياتهم، إنها الدواء لكل داء والعافية من كل بلاء ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

تاسعاً: عفوه ﷺ وصفحه عن أعدائه الذين ظلموه ورحمته بهم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :قلت: يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟.

قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت ،وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي،فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب،فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني،فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ـ جبلا مكة ـ ، فقال ﷺ : « **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**» [٢] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدَكيَّة وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عباده رضي الله عنه في بني الحارث بن الخزرج

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم) ، برقم ٢٥٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق ،) باب (إذا قال أحدكم آمين) ، برقم ٣٢٣١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (ما لقي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) ، برقم ١٧٩٥ .

وذاك قبل وقعة بدر.

حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فيهم عبد الله بن أبي. وفي المجلس عبد الله بن رواحه.

فلما غشيت المجلس عُجَاجة الدابَّة خمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أُبي: أيها المرء لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك منَّا فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحه: اغشنا في مجالسنا فإنا نُحبُّ ذلك.

قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفِّضهم ثم ركب دابَّته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: **أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو الحباب؟، قال: كذا وكذا.**

قال: أعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك،ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوِّجوه فيعصِّبوه بالعصابة، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ »(١).

وعن عمر رضي الله عنه قال: لما توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يُكفِّنُ فيه أباه، فأعطاه،ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه،فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟، فقال رسول الله ﷺ: إنما خيَّرني الله فقال: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً** ﴾[التوبة : ٨٠]، وسأزيد على السبعين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنه منافق ؟، قال: فصلى عليه النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين) برقم ٦٢٥٤ ،ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين)، برقم ١٧٩٨.

وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) ﴾ [التوبة : ٨٤] (١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلمَّا قام رسول الله وثَبْتُ إليه فقلت :أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا؟، قال: أعدُّ عليه قوله. فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: أخِّر عنِّي يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرت فاخترت ، ولو أعلم أني لو زدت على سبعين يغفر له لزدت عليها.

قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيات من سورة براءة ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** (٨٤) ﴾ [التوبة : ٨٤] (٢) .

أيها القارئ الكريم: لعله ترسخ في عقلك وقلبك أكثر وأكثر، أن هذا النبي الكريم بعثه الله رحمة للعالمين ،وأنه كان رحمة على أوليائه وأعدائه ،ولم يكن يوماً من الدهر نقمة،وأنه سبى القلوب والعقول بعطفه وعفوه وصفحه،لأن همَّه الأكبر تعبيد الناس لرب الناس، إن هذه الأخلاق الطاهرة كفيلة بتهذيب النفوس،وإزالة الشرور، وسلامة الصدور،وتقوية الروابط الاجتماعية،وهضم النفس لأجل الله سبحانه وتعالى.

أيها القارئ الكريم : ماظنك لو كانت هذه الأخلاق الكريمة جزءاً من تعامل الناس في حياتهم اليومية : أي مجتمع سنعيش فيه؟! ، إن هذا جزء مما جاء به نبينا الرحيم ، وأمرنا ربنا أن نكون عليه ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

عاشراً: عفوه ﷺ وصفحه وإعراضه عن الجاهلين :

قال تعالى :﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (١٩٩) ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وكانت سيرته ﷺ واقعاً عملياً لما أمره الله به.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾) برقم ٤٦٧٠ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٤٦٧١ .

الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبةً شديدةً حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرداء من شدَّة جذبته ، ثم قال : مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت النبي ﷺ إليه فضحك ثم أمز له بعطاءٍ »[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت** : ابتاع رسول الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ـ وتمر الذخرة هو العجوة ـ فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته فالتمس له التمر فلم يجده،فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له : **يا عبد الله إنَّا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، فالتمسناه فلم نجده .**

فقال الأعرابي : وآ غدراه . فنهمه الناس وقالوا : قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً .

ثم عاد له رسول الله فقال : **يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمَّيناه لك فالتمسناه فلم نجده .**

فقال الأعرابي : وآ غدراه . فنهمه الناس وقالوا : قاتلك الله أيغدر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً .**

فردَّ رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً ، فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجلٍ من أصحابه :

اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها رسول الله يقول لك إن كان عندك وسقٌ من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله .فذهب إليها الرجل ثم رجع فقال :قالت نعم هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه،فقال الرسول ﷺ للرجل :اذهب به فأوفه الذي له . فذهب به فأوفاه الذي له . فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال : جزاك الله خيراً ، قد أوفيت وأطيبت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أولئك خيار عباد الله يوم القيامة الموفون المطيبون** »[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فرض الخمس) باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) ، برقم ٣١٤٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (إعطاء من سأل بفحش وغلظة) ، برقم ١٠٥٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٢٦٩) ،والحاكم في مستدركه (٢ / ٣٢) والبيهقي في الكبرى (٦ / ٢٠) وغيرهم، وسنده حسن .

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً بيده قط، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله عز وجل» (١).

عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزاةً قِبَلَ نجدٍ، فأدركنا رسول الله ﷺ في القائله في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلَّق سيفه بغصنٍ من أغصانها. وتفرَّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: **إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي والسيف صلتاً في يده**، فقال لي: من يمنعك مني؟، **قلت: الله**. فشام السيف ـ أي رده في غمده ـ فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ» (٢).

حادي عشر: كرمه ﷺ وسخائه وكثرة عطائه، وكيف كان أثر ذلك على الناس:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن مُحمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

قال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها» (٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا» (٤).

وعن ابن شهاب رضي الله عنه قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذٍ صفوان بن أمية مئةً من النعم، ثم مئة، ثم مئة.

قال ابن شهاب: حدثني ابن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام)، برقم ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة ذات الرقاع)، برقم ٤١٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط)، فقال: لا برقم ٢٣١٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (حُسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل)، برقم ٦٠٣٤ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا)، برقم ٢٣١١.

ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ »[١] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين ، عَلَقَتْ رسول الله الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : أعطوني رِداءي ، فلو كان عدد هذه العضاة نَعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً »[٢] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها ، أتدرون ما البردة؟ ، قالوا : الشملة . قال نعم .

قالت : نسجتها بيدي فجئت لاكسوكها ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج إلينا وإنها إزاره فحسَّنها فلان فقال : اكسنيها ما أحسنها .

قال القوم : ما أحسنت . لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يَرُدُّ؟ ، قال : والله إني ما سألته لألبسها وإنما سألته لتكون كفني .

قال سهل رضي الله عنه : فكانت كفنه »[٣] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى عليَّ النبي ﷺ وقد أعيا بعيري فنخسه[٤] فوثب ، فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه فما أقدر عليه ، فلحقني النبي ﷺ فقال : **بعينه** ، فبعته بخمس أواقي . قال : قلت : على أن لي ظهره إلى المدينة . قال ﷺ : **ولك ظهره إلى المدينة** .

قال : فلما قدمت المدينة أتيته به فزادني وقيَّة ثم وهبه لي »[٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه ، فأغلظ ، فهمَّ به أصحابه رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ﷺ : «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً**» ، ثم قال : « **أعطوه سنًّا مثل سنّه** » قالوا يا رسول الله : إلا أمثل من سنّ؟ ، فقال : « **أعطوه ، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً** » .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الخمس) باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم) ، برقم ٣١٤٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ) ، برقم ١٢٧٧ .

(٤) أي دَفَعَهُ وحرَّكه .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب (البيوع) باب (بيع البعير واستثناء ركوبه) ، برقم ١١٣ .

فقال لهم: «**اشتروا له سناً فأعطوه إياه**. فقالوا: إنا لا نجد إلا سناً هو خير من سنِّه. قال ﷺ: **فاشتروه فأعطوه إيَّاه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً**» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بمالٍ من البحرين فقال: **انثروه في المسجد**، وكان أكثر مالٍ أتي النبي به ﷺ، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه.

فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه.

إذ جاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً.

فقال رسول الله ﷺ: **خذ. فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلُّه فلم يستطع**.

فقال: يا رسول الله أومر بعضهم يرفعه إليَّ. قال: لا. قال فارفعه أنت عليَّ. قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقلُّه، فقال: يا رسول الله أومر بعضهم يرفعه عليَّ. قال: لا. قال: فارفعه أنت عليَّ. قال: لا. فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه. فما قام رسول الله ﷺ وثمَّ منها درهم» (٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (٣).

ثاني عشر: تواضعه ﷺ:

[١] قيامه ببعض الأعمال في بيته مما يترفع عنه كثير من الناس:

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟، قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف (٤) نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (الوكالة في قضاء الدين)، برقم ٢٣٠٦ ومسلم في صحيحه كتاب (البيوع) باب (من أسلف شيئاً فقضى خيراً منه).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (القسمة وتعليق القنو في المسجد)، برقم ٤٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب (الخامس)، حديث رقم ٦، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة)، برقم ٢٣٠٨.

(٤) أي يجمعه ويضمُّه ويخيطه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ١٢١) وغيره، وهو حديث صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ ، قالت: كان بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه »[١] .

[٢] ركوبه ﷺ الحمار وإردافه عليه :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: « كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير **فقال: يا معاذ هل تدري حق الله على عباده؟، وما حق العباد على الله؟** ، قلت: الله ورسوله أعلم. **قال: فإن حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ ، **قال: لا تبشّرهم فيتكلوا** »[٢] .

[٣] جلوسه ﷺ على الطعام :

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال له الغراء. فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة ـ يعني وقد ثرد فيها ـ فالتفوا عليها ، فلما كثروا جثا الرسول ﷺ على ركبتيه فقال: **ما هذه الجلسة؟**، فقال النبي ﷺ: **إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً ، ثم قال: كلوا من حواليها ، ودعوا ذروتها يبارك فيها** »[٣] .

[٤] لم يكن النبي ﷺ يأكل متكئاً قط كما يفعله كثيرٌ من المتكبرين :

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إني لا آكل متكئاً** »[٤] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: ما روئي رسول الله ﷺ يأكل متكئاً قط ولا يطأ عقبه رجلان »[٥]

---

(١) المصدر السابق (٦ / ٢٥٦) وغيره ، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (اسم الفرس والحمار) ، برقم ٢٨٥٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على توحيد دخل الجنة قطعاً) ، برقم ٣٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأطعمة) باب (ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة) ، برقم ٣٧٧٣ وصححه العلامة الألباني –رحمه الله – تعالى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأطعمة) باب (الأكل متكئاً) ، برقم ٥٣٩٨ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأطعمة) باب (ما جاء في الأكل متكئاً) ، برقم ٣٧٧٠ .

[٥] لعقه ﷺ أصابعه من الطعام :

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها » (١) .

[٦] سلامه ﷺ على الصبيان ومداعبته لهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يمشي مع النبي ﷺ فمرَّ صبيان فسلَّم عليهم (٢).

وعنه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلِّم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم » (٣) .

وعنه رضي الله عنه قال: « إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ » (٤) .

وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال :عقلت من النبي ﷺ مجَّة مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو » (٥) .

[٧] عيادته ﷺ مرضى مساكين المسلمين وضعفاءهم وإتباع جنائزهم:

عن أبي أمامة سهل بن حنيف الأنصاري أن بعض أصحاب النبي ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ كان يعود مرضى مساكين المسلمين ،وضعفاءهم ، ويتبع جنائزهم ولا يصلي عليهم أحدٌ غيره.

وإن امرأة مسكينة من أهل العوالي طال سقمها فكان النبي ﷺ يسأل عنها من حضر من جيرانها وأمرهم أن لا يدفنوها إن حدث بها حدث فيصلي عليها فتوفيت تلك المرأة ليلاً واحتملوها فأتوا بها مع الجنائز أو قال: موضع الجنائز عند مسجد رسول الله ﷺ ليصلي عليها رسول الله ﷺ كما أمرهم فوجدوه قد نام بعد صلاة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأطعمة) باب (استحباب لعق الأصابع) ، برقم ٢٠٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (السلام) باب (التسليم على الصبيان) ، برقم ٦٢٤٧ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (استحباب السلام على الصبيان) ، برقم ٢١٦٨ .

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٥ / ٩٢) وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (الانبساط إلى الناس) ، برقم ٦١٢٩ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (متى يصح سماع الصغير) ، برقم ٧٧ .

العشاء فكرهوا أن يجهدوا رسول الله ﷺ من نومه، فصلوا عليها ثم انطلقوا بها فلمَّا، أصبح رسول الله ﷺ سأل عنها من حضره من جيرانها، فأخبروه خبرها وأنهم كرهوا أن يجهدوا رسول الله ﷺ لها، فقال لهم رسول الله ﷺ: ولم فعلتم؟ انطلقوا مع رسول الله ﷺ حتى قاموا على قبرها، فصفوا وراء رسول الله ﷺ كما يُصفُّ للصلاة على الجنائز، فصلى عليها رسول الله ﷺ وكبَّر أربعاً كما يكبر على الجنائز» (١).

[٨] كان ﷺ يجيب دعوة المملوك، ويأكل على الأرض، ويجلس على الأرض.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك» (٢).

[٩] كان ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتهم.

عن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقلُّ اللَّغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة» (٣).

[١٠] قوله ﷺ لمن هابه: هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترتعد فرائصه فقال له ﷺ: **هَوِّن عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد** (٤)» (٥).

[١١] كونه ﷺ ما عاب طعاماً قط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه» (٦).

---

(١) أخرجه البيهقي في سُننه (٤ / ٤٨) وغيره هو حديث صحيح.

(٢) صحيح الجامع برقم ٤٩١٥.

(٣) أخرجه النسائي في سُننه (٣ / ١٠٨) برقم ١٤١٤، وحسنه العلامة الألباني.

(٤) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس. النهاية لابن الأثير (٤ / ٢٢).

(٥) أخرجه ابن ماجة في سُننه كتاب (الأطعمة) باب (القديد برقم٣٣١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ برقم ٣٥٦٣)، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (لا يعيب الطعام)، برقم ٢٠٦٤.

[١٢] كان ﷺ يعمل مع أصحابه وينقل التراب وقد ربط حجراً على بطنه من الجوع:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا [١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنَّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل،ثم قام وبطنه معصوب بحجر،ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل [٢]. فقلت يا رسول الله إئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر،فعندك شيء؟ ،فقالت: عندي شعير وعناق،فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة،ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر واللحم بين الأثافي قد كادت أن تنضج.

فقلت: طُعيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان .قال:كم هو؟ ، فذكرت له ، فقال: كثير طيب. قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي.

فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

قالت: هل سألك؟ ، قلت: نعم. فقال ﷺ: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، فقال: كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابهم مجاعة » [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١٠٤ .
(٢) أي: صار رملاً يسيل ولا يتماسك. قاله الحافظ.
(٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم ٤١٠١ .

وفي القصة السابقة من تواضعه ﷺ خدمته لأصحابه – رضي الله عنهم – .

[١٣]بغضه ﷺ للمبالغة في مدحه ونهيه عن ذلك :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله** »(١) .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -:

الإطراء : المدح بالباطل تقول : أطريت فلاناً : مدحته فأفرطت في مدحه »(٢) .

« كما أطرت النصارى ابن مريم » : قال ابن التين : « لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في عيسى – عليه السلام – فجعله إلهاً مع الله ، وبعضهم ادَّعى أنه هو الله ، وبعضهم ادَّعى أنه ابن الله »(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ ناساً قالوا : يا رسول الله ويا سيدنا وابن سيدنا فقال : « **يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ،أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل** »(٤) .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا، فقال : **السيد الله تبارك وتعالى.**

قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال : **قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** »(٥)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾) ، برقم ٣٤٤٥ .

(٢) فتح الباري ٦ / ٥٦٥ .

(٣) فتح الباري ١٢ / ١٥٤ .

(٤) أخرجه النسائي في أعمال اليوم والليلة برقم ٢٤٨ ، وسنده حسن.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٥) ، وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) ، باب (كراهية التمادح) ، برقم ٤٨٠٦ وصححه العلامة الألباني –رحمه الله – .

أجعلتني لله نداً؟ ، ما شاء الله وحده» [١] .

[١٤] كراهته ﷺ القيام له :

عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك» [٢] .

وعن أبي مجلز قال: خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر: اجلس ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من أحب أن يتمثَّل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار**» [٣] .

[١٥] اختياره ﷺ أن يكون عبداً رسولاً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل عليه السلام: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة،فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك أملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً؟، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد . **قال: بل عبداً رسولاً**» [٤] .

[١٦] كان ﷺ يؤتى إليه بالصبيان فيدعو لهم ويبول بعضهم على ثيابه فلا يتضجر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ، فؤتي بصبي فبال على ثوبه، فدعا بماء فاتبعه إياه ولم يغسله» [٥] .

[١٧] ذبحه ﷺ أضحيته بيده الشريفة :

عن أنس رضي الله عنه قال: ضحَّى النبي ﷺ بكبشين أملحين،فرأيته واضعاً قدمه على

---

(١) أخرجه الإمام احمد في مسنده (١ / ٢١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩٨٨ وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الأدب) باب (ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) ، برقم ٢٧٥٤ وصححه العلامة الألباني –رحمه الله – .

(٣)أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (قيام الرجل للرجل) ، برقم ٥٢٢٩ والترمذي في سُننه كتاب (الأدب) باب (كراهية قيام الرجل للرجل) ، برقم ٢٧٥٥ وصححه العلامة الألباني – رحمه الله – .

(٤)أخرجه الإمام أحمد في مسنده ((٢ / ٢٣١) ، وابن حبا ن في صحيحه كما في بذل الإحسان (١٤ / ٢٨٠) ، وابن أبي الدنيا في التواضع الخمول برقم ١٢٥ وغيرهم ، وسنده صحيح.

(٥)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (الدعاء للصبيان بالبركة) ، برقم ٦٣٥٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غُسله) ، برقم ٢٨٦ .

صِفَاحِهما يسمِّي ويكبِّر ، فذبحهما بيده »[١] .

[١٨] تعاقبه ﷺ مع أصحابه على البعير الواحد :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدرٍ كل ثلاثة على بعير كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه زميلي رسول الله ﷺ وكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشي عنك. فقال رسول الله ﷺ: **ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما** »[٢] .

[١٩] مسابقته ﷺ لزوجته عائشة رضي الله عنها :

« عن عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت مع النبي ﷺ في سفرة قالت: فسابقته فسبقته على رجلي ،فلما حملت اللَّحم ـ أي سمنت ـ سابقته فسبقني، فقال : **هذه بتلك** »[٣] .

[٢٠] أنه ﷺ لم يكن له بوّاب :

عن أنس رضي الله عنه قال: « مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: **اتقي الله واصبري**، قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه .فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت: لم أعرفك. فقال: **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** »[٤] .

[٢١] إخباره ﷺ عن رعيه الغنم قبل بعثته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ ، فقال: «**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكَّة**»[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأضاحي) باب (من ذبح الأضاحي بيده) ، برقم ٥٥٥٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الأضاحي) باب (استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل) ، برقم ١٩٦٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤٢٤) وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الجهاد) باب (السبق على الرجل) ، برقم ٢٥٧٨ ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (زيارة القبور) ، برقم ١٢٨٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى) ، برقم ٩٢٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيجار) باب (رعي الغنم على قراريط) ، برقم ٢٢٦٢ .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- :[١]

وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن أُعلم أنَّه أكرمُ الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربِّه، والتصريح بمنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ـ صلوات الله عليه ـ وعلى سائر الأنبياء . اهـ .

ثالث عشر: عظيم حيائه ﷺ :

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)** ﴾ .

[الأحزاب :٥٣] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها فأولم بخبز ولحم، فأرسلني داعياً إلى الطعام،فيجيء قوم يأكلون ويخرجون،ثم يجيء قوم يأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى لم أجد أحداً أدعو .

فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه فقال : فارفعوا طعامكم،وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت : وعليك السلام ورحمة الله،كيف وجدت أهلك؟ ، بارك الله لك .

فتقرَّى حُجَرَ نسائه كُلِّهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة . ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا الثلاثة رهط في البيت يتحدثون،وكان النبي ﷺ شديد الحياء .فخرج منطلقاً نحو حُجْرة عائشة رضي الله عنها فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجه ـ أي إحدى رجليه

(١) فتح الباري (٤ / ٥١٦) تحت الحديث السابق .

داخل والأخرى خارج ـ أرخى الستر بيني وبينه، وأنزل الله أية الحجاب » (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** « كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عرفناه في وجهه » (٢) .

وعن معاوية رضي الله عنه **قال:** « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً » ، وقال: قال رسول الله ﷺ : « **إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً** » (٣) .

وعن أبي قراد رضي الله عنه **قال:** خرجت مع رسول الله ﷺ إلى الخلاء ، وكان إذا أراد الحاجة أبعد » (٤) .

رابع عشر: زهده ﷺ في الدنيا وعظيم رغبته في الآخرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** نام النبي ﷺ على حصير فقام وقد أثرَّ في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال: «**مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» (٥) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **قال:** دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير،فجلست ،فأدنى عليه إزاره،وليس عليه غيره،وإذا الحصير قد أثر على جنبه ﷺ ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرضاً في ناحية الغرفة ، فابتدرت عيناي ، فقال رسول الله ﷺ : **ما يبكيك يا ابن الخطاب؟**، قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك ! .

فقال رسول الله ﷺ : **يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ﴿ **لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾ برقم ٤٧٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ برقم ٣٥٦٢) ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (كثرة حيائه ﷺ) ، برقم ٢٣٢٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٣٥٥٩ومسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم٢٣٢١ .

(٤) أخرجه النسائي في سننه (١ / ١٧) وغيره وهو حديث صحيح صححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (الزهد برقم ٢٣٧٧ وابن ماجة في سننه برقم ٤١٠٩ وصححه العلامة الألباني.

الدنيا؟ ، قلت: بلى »[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما أكل آل محمدٍ ﷺ أكلتين في يوم إلا وإحداهما تمرٌ »[٢] .

وعن أبي قتادة قال كنَّا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه وخبَّازه قائم وقال: « كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط »[٣] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: المسموط: الذي أزيل شعره بالماء الساخن وشوي بجلده أو يطبخ وإنما ذلك في الصغير السن الطري . اهـ .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « لقد أصبحتم ترغبون فيما كان رسول ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله يزهد فيها والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما له »[٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **يا أبا ذر؛ ما أحب أن أحداً لي ذهباً تأتي عليَّ ليلةٌ أو ثلاث عندي منه دينارٌ إلا ديناراً أرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا**»[٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : **ما بقي منها**؟ ، قالت: ما بقي منها إلا كتفها ، **قال: بقي كلها غير كتفها**»[٦] يعني رسول الله ﷺ أن ما تصدقوا به منها فهو الذي بقي أجره وثوابه، والذي ذهب منها هو ما أعدوه للأكل.

وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: « ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ تبتغي مرضات أزواجك ﴾ برقم ٤٩١٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الطلاق) باب (بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً) ، برقم ١٤٧٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (كيف كان عيش رسول الله ﷺ وأصحابه) ، برقم ٦٤٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٦٤٥٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٠٤) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستئذان) باب (من أجاب لبيك وسعديك) ، برقم ٦٢٦٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (الترغيب في الصدقة) ، برقم ٩٩١ .

(٦) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (القيامة والرقاق) ، برقم ٢٤٧٠ .

السبيل صدقة »[١] .

خامس عشر: شدة حرصه ﷺ على هداية الخلق ،وعظيم فرحه بمن اهتدى منهم وعظيم حزنه وأسفه على من أعرض.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

[الكهف:٦].

وقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ [الشعراء : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

[فاطر : ٨] .

قال الحافظ بن كثير - رحمه الله - في تفسيره:[٢]

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي مهلكٌ نفسك ممَّا تحرص وتحزن عليهم ألا يكونوا مؤمنين، وهذه تسليةٌ من الله لرسوله ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار .اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت رحمة** »[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ ،فمرض،فأتاه النبي ﷺ يعوده،فقعد عند رأسه،فقال له: **أسلم** .فنظر إلى أبيه وهو عنده،فقال له: أطع أبا القاسم،فأسلم،فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: إن دوساً عصت فادع الله عليها. فقيل هلكت دوس. فقال النبي ﷺ : «**اللهم أهد دوساً وائت بهم**»[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ ووفاته) ، برقم ٤٤٦١ .

(٢) (٣/٤٤٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن لعن الدواب) ، برقم ٢٥٩٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب(إذا أسلم الصبي ثم مات هل يصلى عليه) ، برقم ١٣٥٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الدعاء للمشركين بالهدى) ، برقم ٢٩٣٧، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم) ، برقم ٢٥٢٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلي الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فأدعُ الله أن يهدي أُمّ أبي هريرة.

فقال النبي ﷺ :**اللهم أهدِ أُمّ أبي هريرة** .فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجافٌ فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت :يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده و رسوله .قال :فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أُمّ أبي هريرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال خيراً» (١) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: **أين عليّ بن أبي طالب** فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: **فأرسلوا إليه** ، فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية. فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ ، فقال: **أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعم**» (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم) باب (فضائل أبي هريرة رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من أسلم على يده رجل) ، برقم ٣٠٠٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم) باب (فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) ، برقم ٢٤٠٦ .

سادس عشر: حرصه ﷺ على أمته ورحمته بهم، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرّهم:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله ، ويتمكنون من الأخذ عنه ، ولا يأنفون عن الانقياد له،وهو ﷺ في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم.

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويُعنتكم.

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ : فيحبُّ لكم الخير،ويسعى جهده في إيصاله إليكم،ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان،ويكره لكم الشر،ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ :أي شديد الرأفة والرحمة بهم،أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق ، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره .اهـ.

وإليك أخي القارئ الكريم عدة أمثلة تدل على عظيم حرصه ﷺ على أمته:

[١] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة! فقال:أجل. لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم» (١)

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح مسلم: (٢)

ومراد سلمان رضي الله عنه أنه علمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا حتى الخراءة التي ذكرت أيها القائل ، فإنه علمنا آدابها ، فنهانا فيها عن كذا وكذا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (الإستطابة) برقم ٢٦٢ ،وأصل الحديث في البخاري ومسلم.

(٢) (١٤٥/٢) .

أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه ، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرِّمَّة»(١) .

[٢] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم وأجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق»(٢) .

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل أستوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهنَّ ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»(٣) .

[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾ [إبراهيم ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه ﷺ وقال: اللهم أمتي أمتي ،وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل،اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسلْه ما يبكيك؟ ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال . فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل:«إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه ، باب(كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة) ، برقم٨،وحسنه العلامة الألباني .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الانتهاء عن المعاصي) ، برقم ٦٤٨٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في التحذير مما يضرهم) ، برقم ٢٢٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الانتهاء عن المعاصي) ، برقم ٦٤٨٣ . ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (شفقته ﷺ على أمته) ، برقم ٢٢٨٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (دعاء النبي ﷺ لأُمته وبكائه شفقة عليهم) ، برقم ٢٠٢ .

[٥] عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم » (١) .

[٦] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت :قال النبي ﷺ : « **إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول : يا رب منِّي ومن أمتي فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك؟** » والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ، فكان ابن أبي مليكة يقول : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو أن نُفْتَن عن ديننا » (٢) .

[٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : **(يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ،فقال رجل : أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ،حتى قالها ثلاثاً .فقال رسول الله ﷺ :**لو قلت«نعم» لوجبت ،ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ،وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»(٣) .

[٨] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » (٤) .

[٩] عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال :وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب،فقال رجل : إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ ، قال : « **أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإنْ عبدٌ حبشيٌ ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التهجد) باب (تحريض النبي ﷺ على قيام الليل) ، برقم ١١٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الحوض) ، برقم ٦٥٩٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته) ، برقم ٢٢٩٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاعتصام بالكتاب (والسُّنَّة) باب (الإقتداء بسُنن رسول الله ﷺ) ، برقم ٧٢٨٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (فرض الحج مرة بالعمر) ، برقم ١٣٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (الإنصات للعلماء برقم ١٢١ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان معنى قول النبي ﷺ : **لا ترجعوا بعدي كفاراً**) ، برقم ٦٥ .

وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ،عضوا عليها بالنواجذ» (١) .

سابع عشر: رحمته ﷺ بالناس رجالاً ونساءً وأطفالاً. :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ـ عز وجل ـ** » (٢) .

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: « أتينا النبي ﷺ ونحن شبيةٌ متقاربون،فأقمنا عنده عشرين ليلة،فظن أنا اشتقنا أهلنا،وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه،وكان رفيقاً رحيماً،فقال: **ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم،وصلوا كما رأيتموني أصلي،وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم**» (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي ،مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**»(٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فَشَقَّ عليهم فأشقق عليه ،ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**» (٥) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **اتقوا الله في النساء ،فإنكم**

---

(١) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (العلم) باب (ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة) ، برقم ٢٦٧٦ ، وغيره وصححه العلامة الألباني –رحمه الله–.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمته ﷺ بالصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم) ، برقم ٦٠٠٨ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من أخف الصلاة عند بكاء الصبي) ، برقم ٧٠٧ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل) ، برقم ١٨٢٨ .

أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (١) .

وعن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قُبِضَ فأتنا فأرسل يقرئ السلام **ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌّ شيء عنده بأجل مُسَمًّى فلتصبر ولتحتسبْ**، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينَّها فقام ومعه سعد بن عباده ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم فَرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه ﷺ، فقال: سعد ما هذا؟، فقال: رسول الله ﷺ: **هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ،وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»** (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ، أخذه فقبَّلهُ وشمَّه فجعلت عيناه تذرفان ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟، فقال: **يا ابن عوف إنها رحمة ، إن العين تدمع ، وإن القلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»** (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **من لا يَرحم لا يُرحم»** (٤) .

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً وحسيناً، فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، فرفعت رأسي،وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) ، برقم ١٢١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الجنائز) باب(قول النبي ﷺ :يعذب الميت ببكاء أهله عليه) برقم ١٢٨٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (قول النبي ﷺ : إنا بك لمحزونون) ، برقم ١٣٠٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة الصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الولد وتقبيله) ، برقم ٥٩٩٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة الصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٨ .

قد حدث أمرٌ، أو أنه يوحى إليك، قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**»(١).

وبعد: فإن بعثته ﷺ كانت رحمة، وسيرته رحمة، ودينه رحمة، ومعاملته لأعدائه وأوليائه رحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالذي أرسله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الرحمن الرحيم، وقد ذكر الله هذين الإسمين العظيمين مجتمعين في سورة الفاتحة بعد قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ [الفاتحة: ٢]. ليبين ـ سبحانه ـ لعباده أن ربوبيته لهم مبنية على الرحمة.

وهو ـ سبحانه ـ الذي سبقت رحمته غضبه القائل ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، والقائل ـ سبحانه ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ [الحجر: ٤٩].

كما أن الكتاب الذي أنزل الله عليه هدى ورحمة، وهو تنزيل الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

وأمته ﷺ أُمة مرحومة، وأعظم أوصاف أصحابه رضي الله عنهم أنهم رحماء بينهم، وهكذا كان أتباع سنته في كل زمان ومكان أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق.

أيها القارئ الكريم: ما ظنك بمجتمع مستقيم على هذا التوجيهات وسائر عليها، أي ترابط يكون بين أفراده، وأي سعادة تغمر أبنائه؛ لأن كل واحد يعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات، ومن حصل منه مخالفة مدّوا إليه يد العون، وأسدوا له النصح ليرجع الى جادة الصواب، يكمل بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا.

---

(١) أخرجه النسائي في سُننه كتاب (التطبيق) باب (هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) برقم ١١٤١، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ.

فالأبوان ينعمان في ظل هذه التعاليم الربانية بالبر والإحسان،والرعاية والإكرام، ليس في يوم واحدٍ من أيام السَنَة بل طيلة الحياة،والأبناء ينعمون برعاية الآباء والأمهات،وهم المسئولون في الدرجة الاولى عن تربيتهم وتوجيههم، وتقويم أخلاقهم، وتأديبهم.

والجيران ينعمون بالإحسان المتبادل من بذل الخير بكافة صوره،وكف الأذى بكافة صوره،وكل واحد يعرف حقوق أقاربه من صلة وإحسان، وتعاون على البر والتقوى، والضيف يعامل بالإكرام والإحسان ولا يشعر بغربة وإن كان بعيداً عن أهله وبلده؛ لأنه بين إخوة له في الدين ، له مالهم وعليه ما عليهم.

والمظلوم يجد المجتمع من حوله خير معين له ونصير في الحق حتى ترد اليه مظلمته.

والفقير والمسكين واليتيم والأرملة ، وكل الضعفاء والمحتاجين ينعمون بعطف إخوانهم، وإحسانهم ، وحمايتهم ، ومد يد العون إليهم ، ودفع الضرر عنهم.

إن تلك التعاليم الربانية السامية كفيلة بترابط الأسر والمجتمعات ظاهراً وباطناً، بحيث يكون المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، فنحمد الله الذي هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثامن عشر: رفقه ﷺ بالجاهل وحسن تعليمه له :

عن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال :بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجُل من القوم ، فقلت :يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت :وآثكل أمَّياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمِّتوني سكتُّ فلما صلَّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه،فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال:«**إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ،إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ،فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه . فقال رسول الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (تحريم الكلام في الصلاة) ، برقم ٥٣٧ .

ﷺ : «**لا تُزْرِمُوه ، دعوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : «إن المساجد بيوت الله لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر ، إنما هي لذكر الله ـ عز وجل ـ والصلاة وقراءة القرآن**»[١] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتاً شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه ، **فقال النبي ﷺ : أدنه** ، فدنا منه قريباً فجلس ، **فقال له الرسول ﷺ : أتحبُّه لأمك ؟** ، قال : لا والله ـ جعلني الله فداءك ـ ، **قال ولا الناس يحبُّونه لأمهاتهم ، أفتحبُّه لابنتك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال : ولا الناس يحبُّونه لبناتهم ، قال أتحبُّه لأختك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم . أفتحبُّه لعمَّتك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال : ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم . أفتحبُّه لخالتك ؟** ، قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ . **قال : ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصِّن فرجه** ، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « دخل النبي ﷺ المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فردّ النبي ﷺ فقال : **ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ** . فصلى ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فقال : **ارجع فصلِّ إنك لم تصلِّ (ثلاثاً)** فقال الرجل : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها ، فعلمني . **قال ﷺ : إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم إقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالساً ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجداً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلِّها**»[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الوضوء) باب (غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد) ، برقم ٢٨٥ ، وأصل الحديث في الصحيحين .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة) ، برقم ٧٩٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) ، برقم ٣٩٥ .

تاسع عشر: في رحمته ﷺ بالحيوان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منِّي. فنزل فملأ خفَّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له.** قالوا يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟، **قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ** »(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُذِّبت امرأة في هرَّة؛ ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لاهي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها؛ ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(٢).

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّز كان أحب ما تبرَّز فيه هدف يستتر به أو حائش نخلٍ، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح(٣) له، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه(٤) وسراته(٥) فسكن، فقال: **من رب هذا الجمل؟**، فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا. **فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه**»(٦).

أي تجيعه وتعمل عليه كثيراً.

عن قُرَّة بن إياس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم)، ٦٠٠٩ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها برقم ٢٢٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء)، برقم ٣٤٨٢ ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (فضل ساقي البهائم وإطعامها)، برقم ٢٢٤٢.

(٣) هو البعير الذي يُسقى عليه.

(٤) ذِفْرَى البعير: أصل أذنه. النهاية لابن الأثير (٢ / ١٦١).

(٥) سراة كل شيء: ظهره وأعلاه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٤).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢٠٥) وهو حديث صحيح.

قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال رسول الله ﷺ: « **والشاة إن رحمتها رحمك الله** » (١).

وبعد كل ما سبق من السيرة العطرة،أحببت أن أسلِّط الضوء على بعض الجوانب من سيرته ﷺ وإن كان قد سبق بعضها،لتتضح معالم الرحمة والسماحة في بعثته وشريعته وسيرته أكثر وأكثر، فهذا الحق ليس به خفاء ، فدعني من بنيات الطريق.

❁ **النبي ﷺ أب :**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً قط أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ.

قال: كان إبراهيم ـ ابن النبي ﷺ ـ مسترضعاً له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق، ونحن معه،فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجع » (٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **ولد لي غلام فسميته باسم أبي إبراهيم** ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين (٣) يقال له أبو سيف فانطلق يأتيه وأتبعه فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد إمتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك ،جاء رسول الله ﷺ، فأمسك. فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، وقبَّله وشمَّه.

فقال أنس رضي الله عنه: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال:« **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون** » (٤).

❁ **النبي ﷺ زوج :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت :قال النبي ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله ،وأنا خيركم لأهلي**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٤٣٦) ، وهو حديث صحيح

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب (رحمته ﷺ الصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٦ .

(٣) القين: هو الحداد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (قول النبي ﷺ : وإنَّا بك لمحزونون) ، برقم ١٣٠٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمته ﷺ بالصبيان والعيال) ، برقم ٢٣١٥ .

(٥) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (المناقب) باب (فضل أزواج النبي ﷺ) ، برقم ٣٨٩٥ ، وصححه العلامة الألباني –رحمه الله–.

وعنها رضي الله عنها أنه سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (١).

وعنها رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج ـ أي لسفر ـ أقرع بين نسائه فأيتهنَّ يخرج سهمها يخرج بها» (٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارم الله، فينتقم لله ـ عز وجل ـ» (٣).

❁ النبي ﷺ معلمٌ:

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وآثكل أمَّياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يصمتوني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فو الله ما كهرني (٤)، ولا ضربني، ولا شتمني، وإنما قال: «**إن الصلاة لا يصلح فيها شيئ من كلام الناس، إنما هي التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن**» (٥).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتاً شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه (٦)، فقال النبي ﷺ: **أدنه**، فدنا منه قريباً فجلس، فقال له الرسول ﷺ: **أتحبُّه لأمك؟**، قال: لا والله ـ جعلني الله فداءك ـ قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. أفتحبُّه لابنتك؟**، قال: لا والله يا رسول الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٦) وغيره، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (حمل الرجل امرأته في الغزو)، برقم ٢٣٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام)، برقم ٢٣٢٧.

(٤) أي: ما انتهرني.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (تحريم الكلام في الصلاة)، برقم ٥٣٧.

(٦) كلمة تقال للزجر.

ـ جعلني الله فداءك ـ **قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم. قال أتحبُّه لأختك؟**، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم. أفتحبُّه لعمَّتك؟**، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال: ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم. أفتحبُّه لخالتك؟**، قال: لا والله يا رسول الله ـ جعلني الله فداءك ـ. **قال ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه**. فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء»[١].

❁ النبي ﷺ قاضٍ:

عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا من يكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟، فقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حبُّ رسول الله ﷺ. فأتى بها رسول الله ﷺ فكلَّمه فيها أسامة بن زيد فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ فقال: **أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟**، فقال أسامة بن زيد: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: **أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها»**[٢].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله طهِّرني. فقال: **ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**. قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهِّرني. فقال رسول الله ﷺ: **ارجع فاستغفر الله وتب إليه**. قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: **أبه جنون؟**، فأخبر أنه ليس بمجنون.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٦) وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء)، برقم ٣٤٧٥ ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (الحدود) باب (قطع يد السارق الشريف وغيره)، برقم ١٦٨٨.

فقال: **أشرب الخمر؟**، فقام رجل فاستنهكه فلم يجد ريح خمر. فقال له رسول الله ﷺ: **أزنيت؟**، قال: نعم. فأمر به فرُجِم، فكان الناس فيه فرقتين. قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، فلبثوا في ذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلَّم ثم جلس فقال: **استغفروا لماعز بن مالك**. قال: قالوا: غفر الله لماعز بن مالك. **فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمَّةٍ لوسعتهم**».

ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرِّني، فقال: **ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه**. فقالت: أراك تريد أن تردَّني كما رددت ماعز بن مالك قال: **وما ذاك؟**، قالت: إنها حبلى من الزنا. **فقال: آنت؟**، قالت: نعم. **فقال: حتى تضعي ما في بطنك**. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. **فقال: إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه**. فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله. قال: فرجمها ثم قال: «**والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس**[١] **لغفر له، ثم أمر بها فصلَّى عليها ودفنت**»[٢].

❁ النبي ﷺ قائد للمعارك:

سئل زيد بن أرقم كم غزا رسول الله ﷺ بنفسه؟ قال: تسع عشرة غزوة[٣].

وعن أبي إسحاق السبيعي أنه سمع رجلاً من قيس يسأل البراء بن عازب رضي الله عنه فيقول: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟، فقال البراء رضي الله عنه: ولكن رسول الله لم يفر. كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستُقْبِلنا بالسِّهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث

---

(١) صاحب المكس الذي يجبي أموال الناس بغير حق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحدود) باب (من اعترف على نفسه بالزنا)، برقم ١٦٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (كم غزا رسول الله ﷺ)، برقم ٤٤٧١.

آخذٌ بزمامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه»(١)

وهذه شجاعة منقطعة النظير، إذ انكشف أكثر الجيش عن قائدهم رسول الله ﷺ وهو ثابت في وسط المعركة ،وليس ذلك فحسب ،بل يصرح بأنه النبي وأنَّه القائد، وأعدائه أحرص ما يكونون على قتله ومعرفة مكانه.

وكان ﷺ مع فرط شجاعته وثقته بالله ، وكمال عقله وعلمه يشاور أصحابه امتثالا لقول الله تعالى ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وعملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ، كما شاور أصحابه في الخروج لملاقاة عير قريش يوم بدر ، وهكذا في غزوة أُحد والخندق، وغيرها

النبي ﷺ متعاملاً بالبيع والشراء :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « ابتاع رسول الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، ـ وتمر الذخرة هو العجوة ـ فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته فالتمس له التمر فلم يجده ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: **يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، فالتمسناه فلم نجده.**

فقال الأعرابي : وآ غدراه. فنهمه الناس وقالوا: قاتلك الله ، أيغدر رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : **دعوه ، فإن لصاحب الحق مقالاً.**

ثم عاد له رسول الله ﷺ فقال :**يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمَّيناه لك ، فالتمسناه فلم نجده.** فقال الأعرابي: وآ غدراه.

فنهمه الناس وقالوا: قاتلك الله ، أيغدر رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً.**

فردد رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً، فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (من قال :خذها وأنا ابن فلان) ، برقم ٤٤٧١ .

اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها رسول الله يقول لك : إن كان عندكِ وسق من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله ، فذهب إليها الرجل ثم رجع فقال: قالت : نعم ، هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه، فقال الرسول ﷺ لرجلٍ: **اذهب به فأوفه الذي له.**

فذهب به فأوفاه الذي له. فمرَّ الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك الله خيراً قد أوفيت وأطيبت. فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك خيار عباد الله يوم القيامة الموفون المطيَّبون**»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه ، فأغلظ ، فهمَّ به أصحابه رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ، ثم قال : أعطوه سنًّا مثل سنه** ، قالوا : يا رسول الله ؛ إلا أمثل من سنّه ؟ ، فقال : **أعطوه ، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً** »(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد »(٣) .

النبي ﷺ مع أعدائـــه :

المتأمل في سيرته ﷺ يجد أنه كان يتعامل مع أعدائه بالصدق،والوفاء بالعهد والرحمة،والحرص على هدايتهم،كما سبق ذكر أمثلةٍ كثيرة على ذلك في الفصل الذي عقد لبيان رحمته ﷺ بأعدائه وعفوه عنهم.

فقد عقد عهداً مع بني قريظة في المدينة،وكانوا هم الذين غدروا ونقضوا العهد، وعقد عهداً مع بني النضير وكانوا هم الذين غدروا ونقضوا العهد،وعقد عهداً مع

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/٢٦٩) ، الحاكم في مستدركه (٢ / ٣٢) ، والبيهقي في سننه (٦/٢٠) . وغيرهم وسنده حسن .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوكالة) باب (الوكالة في قضاء الدين) ، برقم ٢٣٠٦ ومسلم في صحيحة كتاب (البيوع) باب (من أسلف شيئاً فقضى خيراً منه برقم ١٦٠١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (البيوع) باب (شراء النبي ﷺ بالنسيئة) ، برقم ٢٠٦٨ ومسلم في صحيحه كتاب (البيوع) باب (الرهن وجوازه في الحضر والسفر) ، برقم ١٦٠٣ .

غيرهم من اليهود فكانوا هم الذين نقضوا وغدروا ، وعقد ﷺ عهداً مع كفار قريش فكانوا هم الذين نقضوا وغدروا ، وقد كان أعدائه ﷺ يشهدون له بالصدق والأمانة والوفاء ، ولما دخل مكة فاتحاً بعد أن أخرجوه منها وغزوه إلى المدينة مراراً ، وبعد أن نقضوا عهده وغدروا عفا عنهم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

النبي ﷺ مع خدمـــه :

عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ،والله ما قال لي: أُفّ قط. ولا قال لي لشيءٍ: لما فعلت كذا ،وهلا فعلت كذا؟» (١)

النبي ﷺ مع المماليك :

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي: **اعلم أبا مسعود** فلم أفهم الصوت من الغضب ،فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ. **فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود ؛ اعلم أبا مسعود ، فألقيت السوط من يدي فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام.** فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً» (٢) .

وعن هلال بن يساف قال: عجل شيخ فلطم خادماً له ، فقال له سويد بن مقرن: عجز عليك إلا حُرَّ وجهها؟ لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة، لطمها أصغرنا ، فأمر رسول الله ﷺ أن نعتقها (٣) .

وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر في الرَّبذة وعليه حلَّة وعلى غلامه حلَّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيَّرته بأمِّه فقال لي النبي ﷺ: **يا أبا ذر أعيَّرته بأمِّه !! إنك امرؤٌ فيك جاهلية ،أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس،ولا تكلِّفوهم ما**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء) ، برقم ٦٠٣٨ ، ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (الفضائل) باب (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً) ، برقم ٢٣٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأيمان والنذور) باب (صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده)،برقم ١٦٥٨ .

(٣) المصدر السابق.

يغلبهم ، فإن كلّفتموهم فأعينوهم» (١) .

النبي ﷺ مع الأيتام والأرامل والمساكين :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **أنا وكَافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعه السبابة والوسطى»** (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ،وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر ،وكالصائم لا يفطر»** (٣) .

النبي ﷺ في العيد :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ ، وذلك في يوم العيد، فقال رسول الله ﷺ : **يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»** (٤) .

وعنها رضي الله عنها قالت: « والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو» (٥) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت الحبشة يزفون بين يدي رسول الله ﷺ ويرقصون ويقولون: محمدٌ عبدٌ صالحٌ ، محمدٌ: عبدٌ صالحٌ. فقال رسول الله ﷺ : **ما يقولون؟** ، قالوا: يقولون: محمدٌ عبدٌ صالحٌ » (٦) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (المعاصي من أمر الجاهلية) ، برقم ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الادب) باب (فضل من يعول يتيماً) ، برقم ٦٠٠٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقاق) باب (الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ، برقم ٢٩٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (السعي على المسكين) ، برقم ٦٠٠٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقاق) باب (الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ، برقم ٢٩٨٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العيدين) باب (سنة العيدين لأهل الإسلام)، برقم ٩٥٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة العيدين) باب (الرخصة باللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد) ، برقم ٨٩٢ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه الموضع السابق.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ١٥٢) وغيره ، وهو حديث صحيح.

النبي ﷺ مع الأطفـــال :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال : «**يا غلام :إني أعلمك كلمات ،احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ،رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (١) .

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ، ثم كبر للصلاة فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها ،فرفعت رأسي ،وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد ،فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحى إليك . قال : **كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني** ـ أي اتخذني راحلة له ـ **فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**» (٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (صفة القيامة والرقاق والورع) باب (رقم ٥٩) ، وحديث رقم ٢٥١٦ ، وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– .

(٢) أخرجه النسائي في سُننه كتاب (التطبيق) باب (هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) ، برقم ١١٤١ ، وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– .